وقفة تحليلية في الآيات الواردة في حادثة الغدير

الدكتور

هاشم فوزي العبادي

كلية الإدارة والاقتصاد – جامعة الكوفة

الدكتور

علي رزاق العابدي

كلية الإدارة والاقتصاد – جامعة الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد:

جاء هذا البحث بناءً على دعوة العتبة العلوية المقدسة / الأمانة العامة للمشاركة في مؤتمرها العالمي الأول المنعقد تحت شعار (مهرجان الغدير العالمي الأول) ومن محاور هذا المؤتمر محور واقعة الغدير وأهميتها في الفكر الإسلامي (الغدير والقرآن الكريم) فحديث النبأ العظيم في (غدير خم) حديث الدعوة الإلهية، حديث أكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ على ما نزل على رسولنا الكريم، حديث الولاية الكبرى لا غبار عليه فواقعة الغدير غير خافية على أحد من المعاندين والمحبين فقد أجمع نبي الرحمة (ﷺ) الخروج إلى الحج في سنة عشر من الهجرة، وأذن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتمون به في حجته تلك التي سميت حجة الوداع وخرج معه جموع لا يعلمها إلاّ الله وأن حاول بعض المؤرخين إحصاء هذه الجموع لكن بدون جدوى.

فحاولنا في هذا البحث أن ندرس الآيات القرآنية المنزلة بهذه الواقعة ونلقي الضوء على سبب النزول وتحديد بعض الألفاظ فيها مثل اليوم ودلالته لاختلاف المفسرين فيه بديل قاطع لا نقاش فيه معتمدين في ذلك على تظافر المعنى والقرآئن السيافة للآيات القرآنية وأسباب نزولها وتفنيد الآراء المعاندة وترجيح الرأي الصائب الدقيق فالأمة الإسلامية هي أمة القرآن، إليه يرد أهلها، وبه يعرف نسبها، اقتضت طبيعة البحث أن يستقر على ثلاثة مطالب سبقتها مقدمة حول الحادثة (غدير خم) وخاتمة تضمنت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج تناول البحث في المطلب الأول: الآية (٣) من سورة المائدة (آية الإكمال) وسلط المطلب الثاني الضوء على الآية (٦٧) من سورة المائدة (آية التبليغ) وتم التأكيد في المطلب الثالث على أحقية الأمام علي (عليه السلام) بالولاية من خلال الآية لأولى من سورة المعراج (آية سال سائل) وقد اعتمد البحث على مصادر ومراجع متعددة تمثلت بكتب التفسير من المذاهب كافة واللغة، والمعجمات العربية.

ولاتساع جوانب هذا الموضوع وترامي أطرافه مما يتعذر حصره في هذا البحث أخذنا آية الإكمال، وآية التبليغ، وآية سال سائل للتدليل على هذا الحادثة ومستعينين في ذلك كله على آراء العلماء والمفسرين.

المقدمة :

إنَّ من أحاط علما بسيرة النبي (ﷺ) في تأسيس دولة الإسلام، وتشريع إحكامها، وتمهيد قواعدها، وسن قوانينها، وتنظيم شؤونها عن الله عز وجل، يجد عليا وزير رسول الله في أمره، وظهيره على عدوه، وعيبة علمه، ووارث حكمه، وولي عهده ،وصاحب الأمر من بعده ،ومن وقف على أقوال النبي وأفعاله، في حله وترحاله، صلى الله عليه واله وسلم، يجد نصوصه في ذلك متواترة متوالية من مبدأ أمره إلى منتهى عمره.

وحسبك منها ما كان في مبدأ الدعوة الإسلامية قبل ظهور الإسلام بمكة، حين انزل الله تعالى عليه **(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)** فدعاهم إلى دار عمه – أبي طالب – وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه، وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، والحديث في ذلك من صحاح السنن المأثورة.

قال رسول الله (ﷺ): يا بني عبد المطلب إني والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن ادعوكم إليه؟ فأيكم يؤازرني على أمري هذا، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها غير علي – وكان أصغرهم – إذ قام فقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فاخذ رسول الله (ﷺ) برقبته، وقال إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.[1]

وقال أبو عبد لله احمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب.[2] وقال ابن عباس: ما نزل في احد من كتاب الله ما نزل في علي، وقال مرة أخرى : نزل في علي ثلاث مئة آية من كتاب الله عز وجل، وقال مرة ثالثة: ما انزل الله يا أيها الذين امنوا إلا وعلي أميرها وشريفها.[3] ومن هذه الفضائل فضيلة الولاية .فقد اخرج الطبراني وغيره بسند مجمع على صحته عن زيد بن أرقم قال: خطب رسول الله (ﷺ) بغدير خم تحت شجرات، فقال: أيها الناس يوشك أن ادعى فأجيب، واني مسؤول، وإنكم مسؤولون فماذا انتم قائلون؟ قالوا نشهد انك قد بلغت وجاهدت ونصحت، فجزاك الله خيرا، فقال: أليس تشهدون أن لا اله إلا الله، وان محمدا عبده ورسوله، وان جنته حق، وان ناره حق، وان الموت حق، وان البعث حق بعد الموت، وان الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور؟ قالوا بلى نشهد بذلك قال اللهم اشهد ثم قال يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه، فهذا مولاه يعني عليا اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ثم قال يا أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون على الحوض حرض اعرض مما بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد من النجوم قدحان من فضة واني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين، كيف تخلفوني

فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل، سبب طرفه بيد الله تعالى، وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فانه قد نبأني اللطيف الخبير إنهما ينقضيا حتى يردا علي الحوض.[٤]

إنَّ حديث الغدير كان محل الاهتمام من الله سبحانه إذ اوحاه الله إلى رسوله (صلى الله عليه وآله) وانزل فيه ذكرا يرتله المسلمون آناء الليل وأطراف النهار، يتلونه في خلواتهم ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)) فما بلغ الرسالة يومئذ بنصه على علي بالإمامة، وعهده إليه بالخلافة، انزل الله سبحانه عليه ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا)) فإذا كانت عناية الله عز وجل على هذه الشكل فان عناية رسوله (صلى الله عليه وآله) تكون على غرارها فانه لما دنا اجله، ونعيت له روحه، اجمع بأمر من ربه على أن ينادي بولاية أمير المؤمنين في الحج الأكبر على رؤوس الأشهاد فأذن في الناس قبل الموسم بأنه حاج إلى بيت الله في هذا العام حجة الوداع، فتوافد البشر عليه من كل بقاع الأرض، فخرج معه إلى الحج نحو مئة ألف أو يزيدون فلما كان يوم الموقف بعرفات نادى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالناس: علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي.

ولما قفل بمن معه من تلك الألوف وبلغوا وادي خم، هبط عليه الروح الأمين جبرائيل بآية التبليغ عن رب العزة، فحط رسول الله (صلى الله عليه وآله) رحله حتى لحقه من تأخر عنه من الناس ورجع إليه من تقدمه منهم فلما اجتمعوا صلى بهم الفريضة ثم خطب بهم فصدع بالنص في ولاية أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

وقد ذكر الإمام عبد الحسين شرف الموسوي رحمه الله في كتابه المراجعات إن رسول الله نعى إليهم نفسه الزكية تنبيها إلى أن الوقت قد استوجب تبليغ عهده. واقتضى الأذان بتعيين الخليفة من بعده، وأنه لا يسعه تأخير ذلك مخافة أن يدعى فيجيب قبل أحكام هذه المهمة التي لا بد له من أحكامها ولا غنى لامته عن إتمامها. ولما كان عهده إلى أخيه ثقيلا على أهل التنافس والحسد والنفاق أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل أن ينادي بذلك أن يتقدم في الاعتذار إليهم تأليفا لقلوبهم وإشفاقاً من معرة أقوالهم وأفعالهم. فقال واني مسؤول ليعلموا انه مأمور بذلك ومسؤول عنه من رب العزة فلا سبيل له إلى تركه.[٥]

وقد اخرج الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول بالإسناد إلى أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) يوم غدير خم في علي ابن أبي طالب، وذكر إنهم مسؤولون عن ولاية علي وأهل البيت فيكون الغرض من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): وإنكم مسؤولون تهديد أهل الخلاف لوليه ووصيه.[٦]

المطلب الأول: الآية /٣من سورة المائدة ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)).

من الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فقد أصفقت الأمامية عن بكرة أبيهم على نزول هذه الآية الكريمة حول نص الغدير بعد أصحار النبي (صلى الله عليه وآله) بولاية أمير المؤمنين بألفاظ دريه صريحة، فتضمن نصا جليا عرفته الصحابة وفهمته العرب فاحتج به من بلغه الخبر.

وصافق الأمامية على ذلك كثيرون من علماء التفسير وأئمة الحديث وحفظة الآثار من أهل السنة.[٧] فلو أتينا إلى تحليل هذه الآية فـ (اليوم) ليس يراد به يوما بعينه بل معناه الآن يئس الكافرون من دينكم كما يقول القائل اليوم قد كبرت يريد أن الله تعالى حول الخوف الذي كان يلحقهم من الكافرين اليوم إليهم ويئسوا من بطلان الإسلام وجاءكم ما كنتم توعدون به في قوله ليظهره على الدين كله، ومعنى يئسوا انقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه وتراجعوا منه إلى الشرك عن ابن عباس والسدي وعطا، وقيل إن المراد باليوم يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها في الإسلام عن مجاهد وابن جريج وابن زيد وكان يوم جمعة ونظر النبي (صلى الله عليه وآله) فلم ير إلا مسلما موحدا ولم ير مشركا (فلا تخشوهم) خطاب للمؤمنين نهاهم الله أن يخشوا ويخافوا من الكفار أن يظهروا على دين الإسلام ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم، (واخشون) أي ولكن اخشوني أي خافوني أن خالفكم أمري وأرتبكم معصتي، (اليوم أكملت لكم دينكم) قيل فيه أقوال:

أحدها: إن معناها أكملت لكم فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي بتنزيلي ما أنزلت وبياني ما بينت لكم فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم وكان ذلك يوم عرفة عام حجة الوداع عن ابن عباس والسدي واختاره الجبائي والبلخي قالوا ولم ينزل بعد هذا على النبي (صلى الله عليه وآله) شيء من الفرائض في تحليل ولا تحريم وانه مضى بعد ذلك بإحدى وثمانين ليلة فان اعترض معترض فقال أكان دين الله ناقصا وقتا من الأوقات حتى أتمه في ذلك اليوم فجوابه إن دين الله لم يكن إلا في كمال كاملا في كل حال ولكن لما كان معرضا للنسخ والزيادة فيه ونزول الوحي بتحليل شيء أو تحريمه لم يمتنع أن يوصف بالكمال إذا امن من جميع ذلك فيه كما توصف العشرة بأنها كاملة ولا يلزم أن توصف بالنقصان لما كانت المائة أكثر منها وأكمل.

وثانيها: إن معناه اليوم أكملت لكم حجكم وافردتكم بالبلد الحرام تحجونه دون المشركين ولا يخالطكم مشرك عن سعيد بن جبير وقتادة واختاره الطبري قال لان الله سبحانه انزل بعده يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة، قال الفراء: وهي آخر آية نزلت وهذا الذي ذكره لو صح لكان لهذا القول ترجيح لكن فيه خلاف.

وثالثها: إن معناه اليوم كفيتكم الأعداء وأظهرتكم عليهم كما تقول الآن كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد بان كفيتنا ما كنا نخافه عن الزجاج، والمروي عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبدا لله عليهما السلام انه إنما انزل بعد إن نصب النبي (صلى الله عليه وآله) عليا (عليه السلام) علما للأنام يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع قالا وهو أخر فريضة انزلها الله نزلت هذه الآية قال الله اكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله (وأتممت عليكم نعمتي) فالله يخاطب المؤمنين بأنه أتم النعمة عليهم بإظهارهم على المشركين ونفيهم عن بلادهم عن ابن عباس وقتادة، وقيل معناه أتممت عليكم نعمتي بان أعطيتكم من العلم والحكمة ما لم يعط قبلكم نبي ولا امة، وقيل إن تمام النعمة دخول الجنة (رضيت لكم الإسلام دينا) أي رضيت لكم الإسلام لأمري والانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه دينا أي طاعة منكم لي والفائدة في هذا إن الله سبحانه لم يزل يصرف نبيه محمدا وأصحابه في درجات الإسلام ومراتبه درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة حتى أكمل لهم شرائعه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم قال رضيت لكم الحال التي انتم عليها اليوم فألزموها ولا تفارقوها.[٨]

ولفظة (يوم) في بداية النص الكريم تمثل موضع خلاف واختلاف بين علماء التفسير القرآني إذ تباينت زوايا النظر في تحديد هذا اليوم وتعددت الآراء فيه ومنها انه (يوم نزول الآية، أو يوم بعثة الرسول محمد(صلى الله عليه وآله) أو إن المراد باليوم هو ما بعد فتح مكة ،وقيل اليوم الذي نزلت فيه سورة براءة، وقيل هو يوم عرفة من حجة الوداع.[٩] على حين إن هناك من مفسري النص من أطلق المعنى في لفظة (اليوم) من دون تحديدها في يوم بعينه حتى يخرج من نطاق الأشكال في تشخيص يوم بعينه دون أخر ومن هؤلاء الزمخشري إذ يقول: (لم يرد به يوما بعينه وإنما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك: كنت بالأمس شابا وأنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك).[١٠] بيد إن مقولة الزمخشري هذه وان كانت تقف على أرض محايدة دون الانضمام إلى رأي يرجح يوما بعينه فإنها لا تصمد طويلا إذا ما عرضت على مرتكزات القاعدة النحوية ذلك بان (ال) في قوله تعالى اليوم تقتضي التعريف التخصيصي العهدي فالمراد بذلك اليوم يوم معين، وإذا لم يرد سبحانه يوما مخصصا لجازان نقول إن هذا اليوم ينطبق على جميع الزمان بما في ذلك الزمان الذي سبق نزول الرسالة (النص القرآني) وهذا محال عقلا وزمنا، فضلا عن أن قوله (**يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ**) يدل دلالة قطعية على أن هذا اليوم هم يوم زمني محدد وإلا لم ييأس الكافرون إلا بعد أن اثبت الرسول (صلى الله عليه وآله) ركائز الإسلام ووثقها بولاية الإمام علي(عليه السلام)

ولهذا تعد أرجح الآراء في تحديد لفظة اليوم في الآية هو انه غدير خم في الثامن عشر من ذي الحجة؛ حيث بويع الإمام علي (عليه السلام) وليا للمسلمين كافة ويسند ذلك تمامية النص، إذ يقول سبحانه (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) فيوم يأس الكافرون هو ذات اليوم الذي اكتمل فيه الدين وتمت فيه النعمة التي هي ولاية أمير المؤمنين(عليه السلام).[١١] فكان ذكر اليوم في هذا النص مبينا لإبهام لفظة اليوم في النص الذي يأس فيه الكافرون، فكأنه سبحانه أجمل لفظة اليوم في بادئ الأمر ولم يصفه إلا بقوله انه يوم يأس فيه الكافرون من الدين الإسلامي ثم فصل القول في إيضاح هذا اليوم بقوله (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)، ويعضد هذا مقولة السيد الطباطبائي حيث يقول: (إنَّ هاتين الجملتين اعني قوله (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ) وقوله (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) متقاربتان مضمونا مرتبطتان مفهوماً بلا ريب، لظهور ما بين يأس الكفار من دين المسلمين وبين إكمال دين المسلمين من الارتباط الغريب، وقبول المضمونين لان يمتزجا فيتركبا مضموناً واحداً مرتبط الأجزاء، متصل الإطراف بعضها ببعض، مضافا إلى ما بين الجملتين من الاتحاد في السياق).[١٢]

ولا بد من القول إن ثمة فارقا ما بين الإكمال والإتمام؛ فالكمال هو ما كان قابل للتجزؤ.[١٣] على حين أن التمام هو ما كان غير قابل للتجزؤ وذلك بان (تتمة كل شيء ما يكون تماما لغايته).[١٤] بهذا نجد أن كمال الشيء هو حصول الغرض منه.[١٥] إما تمام الشيء فهو انتهاؤه إلى حد لا يحتاج معه شيء خارج عنه أو هو تأدية الشيء بكل ما فيه من تفاصيل وأجزاء جملة واحدة من دون مغايرة جزء منه.[١٦]

بهذا نفهم بان الكمال في الدين المتمثل بـ(النص القرآني) يتجسد في نزول الأحكام الشرعية واحتوائه على نظم العقائد السماوية كاملة فالغرض منه – والحال هذه– مكتمل، على حين إن التمام يكمن في النعمة المتمثلة بولاية علي بن أبي طالب(عليه السلام) فبها لا يحتاج المرء إلى شيء أخر، لأنه خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووارث علمه في الكتاب المقدس، فما من موضع يقع فيه الناس في اختلاف أو يداخلهم تباين وتحير إلا وهو منقذهم منه مرشدهم إليه؛ من هنا كان الإمام هو نعمة الله التي أتم بها غاية الدين وذلك من حيث تحقيق غايته بتطبيق تفاصيله بكل أجزائها من دون تفرقة هذا من جهة ومن جهة أخرى فان وجود الإمام يغني الناس بعدم احتياجهم في دينهم إلى شيء أخر غير الإمام لأنه صنو القران وثقله الأمثل.[١٧] إذ يقول: (فما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القران إلا أقرانيها وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله لي أن يؤتني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا،

وما ترك شيئا علمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل على احد قبله في أمر بطاعة أو نهي عن معصية إلا علمينه وحفظته فلم انس حرفا واحدا).[١٨]

فكان بهذا نعمة الله على الأرض؛ فضلا عن إن المتتبع له واللاحق به منهجا وعملا يعد متما لدينه بامتلاكه الغاية منه يقينا مكملا له بأداء الفروض دون معرفة الحق أو الغاية منها أي يعد المرء بالولاية والسير على منهجها محققا لغاية دينية ومنجزا لكل نواحي كتابه السماوي إيمانا وتأدية.

ولا بد لي من تفنيد الأقوال والآراء الخاصة بدلالة اليوم ،وخير ما نستعين به ما قاله الشيخ الشيرازي فأي يوم ياترى هو ذلك اليوم الذي اجتمعت فيه هذه الأحداث الأربعة المصيرية، وهي يأس الكفار، وإكمال الدين، وإتمام النعمة ،وقبول الله لدين الإسلام دينا خاتميا لكل البشرية؟

لقد قال المفسرون الكثير في هذا المجال ،ومما لا شك فيه ولا ريب إن يوما عظيما في تاريخ حياة النبي(ﷺ) – كهذا اليوم– لا يمكن أن يكون يوما عاديا كسائر الأيام، ولو قلنا بأنه يوم عادي لما بقي مبرر لإضفاء مثل هذه الأهمية العظيمة عليه كما ورد في الآية. فقد قيل إن من اليهود والنصارى قالوا في شان هذا اليوم بأنه لو كان قد ورد في كتبهم مثله لاتخذوه عيدا لأنفسهم ولاهتموا به اهتماما عظيما.[١٩]

ولنبحث الآن في القرائن والدلائل وفي تاريخ نزول هذه الآية وتاريخ حياة النبي(ﷺ) والروايات المختلفة المستفادة من مصادر إسلامية عديدة ،لنرى أي يوم هو هذا اليوم العظيم؟

ترى هل هو اليوم الذي انزل فيه الله الأحكام المذكورة في نفس الآية والخاصة بالحلال والحرام من اللحوم؟

بديهي أنه ليس ذلك؛ لان نزول هذه الأحكام لا يوجب إعطاء تلك الأهمية العظيمة، ولا يمكن أن يكون سببا لإكمال الدين . لأنها لم تكن أمر الأحكام التي نزلت على النبي (ﷺ) والدليل على هذا القول ما نراه من أحكام تلت الأحكام السابقة في نزولها، كما لا يمكن القول بان الأحكام المذكورة هي السبب في يأس الكفار، بل أن ما يثير اليأس لدى الكفار هو إيجاد دعامة راسخة قوية لمستقبل الإسلام، وبعبارة أخرى فان نزول أحكام الحلال والحرام من اللحوم لا يترك أثرا في نفوس الكفار فماذا يضيرهم لو كان بعض اللحوم حلالا وبعضها الأخر حراما.

فهل المراد من ذلك اليوم هو يوم عرفة من حجة الوداع أخر حجة قام بها النبي (ﷺ) كما احتمله بعض المفسرين وجواب هذا السؤال هو النفي أيضاً، لان الدلائل المذكورة لا تتطابق مع هذا التفسير حيث لم تقع أي حادثة مهمة في مثل ذلك اليوم لتكون سببا ليأس الكفار ولو كان المراد هو حشود المسلمين الذين شاركوا النبي (ﷺ) في يوم عرفة، فقد كانت هذه الحشود تحيط بالنبي(ﷺ) في مكة قبل هذا اليوم أيضاً، ولو كان المقصود هو نزول الأحكام المذكورة في ذلك

اليوم؟ فلم تكن الأحكام تلك شيئا مهما مخيفا بالنسبة للكفار، ثم هل المقصود بذلك اليوم هو يوم فتح مكة كما احتمله البعض؟.

ومن المعلوم إن سورة المائدة نزلت بعد فترة طويلة من فتح مكة. أو إن المراد هو يوم نزول آيات سورة البراءة ولكنها نزلت قبل فترة طويلة من سورة المائدة. والأعجب من كل ما ذكر هو قول البعض بان هذا اليوم هو يوم ظهور الإسلام وبعثة النبي(ﷺ) مع إن هذين الحدثين لا علاقة زمنية بينهما وبين نزول هذه الآية مطلقا وبينهما فارق زمني بعيد جداً.

وهكذا يتضح لنا أن أيا من الاحتمالات الستة المذكورة لا تتلائم مع محتوى الآية موضوع البحث ويبقى لدينا احتمال أخير ذكره جميع مفسري الشيعة في تفاسيرهم وأيدوه كما دعمته روايات كثيرة. وهذا الاحتمال يتناسب تماما مع محتوى الآية حيث يعد (يوم غدير خم) أي اليوم الذي نصب النبي(ﷺ) عليا أمير المؤمنين (عليه السلام) بصورة رسمية وعلنية خليفة له، حيث غشى الكفار في هذا اليوم سيل من اليأس، وقد كانوا يتوهمون أن دين الإسلام سينتهي بوفاة النبي (ﷺ) وان الأوضاع ستعود إلى سابق عهد الجاهلية، لكنهم حين شاهدوا أن النبي أوصى بالخلافة بعده لرجل كان فريدا بين المسلمين في علمه وتقواه وقوته وعدالته، وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورأوا النبي وهو يأخذ البيعة لعلي(عليه السلام) أحاط بهم اليأس من كل جانب، وفقدوا الأمل فيما توقعوه من شر لمستقبل الإسلام وأدركوا إن هذا الدين باق راسخ.[٢٠]

وذكر الشيخ قرائن أخرى إضافة إلى ما ذكر في دعم وتأييد هذا التفسير:

(أ)- لقد ذكرت تفاسير الرازي وروح المعاني والمنار في تفسير هذه الآية إن النبي (ﷺ) لم يعش أكثر من واحد وثمانين يوما بعد نزول هذه الآية، وهذا أمر يثير الانتباه في حد ذاته، إذ حين نرى أن وفاة النبي (ﷺ) كانت في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول نستنتج أن نزول الآية كان بالضبط في يوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام، وهو يوم غدير خم.

(ب)- ذكرت روايات كثيرة – نقلتها مصادر الطرفين- أن هذه الآية الكريمة نزلت فتي يوم غدير خم. وبعد أن ابلغ النبي(ﷺ) المسلمين بولاية علي بن أبي طالب(عليه السلام) يتضح من ذلك إن الروايات والأخبار التي أكدت نزول الآية- موضوع البحث- في واقعة غدير خم ليست من نوع أخبار الآحاد لكي يمكن تجاهلها، عن طريق اعتبار الضعف في بعض أسانيدها، بل هي أخبار إن لم تكن في حكم المتواتر فهي على اقل تقدير من الأخبار المستفيضة التي تناقلتها المصادر الإسلامية المشهورة.[٢١]

وقد قدم السيد الطباطبائي في معرض تفسيره لهذه الآية الثالثة من سورة المائدة تحليلا نقديا رائعا، يستند إلى الوقائع التاريخية في تفنيده لمعظم البنى التفسيرية التي حاولت إدراك المضامين الخفية لمحتوى الآية، حيث تولى وعبر الحجة العقلية الدامغة والشاهد التاريخي للواقعة، استبعاد معظم تلك المحاولات التفسيرية وبيان تهافت الدليل الذي بنيت عليه، ثم وعملا

بمنهجه يقدم بعد ذلك تفسيره البديل الذي تدعم صحته الواقعة التاريخية ويؤيده برهان العقل وغاية الآية التي تحمل وتوجز عبر الصياغة الإلهية المبنية إحدى الغايات الكبرى للدين الإسلامي.

فالكلام في الآية من قوله تعالى ((اليوم يئس)) إلى قوله ((الإسلام دينا)) كلام واحد متصل مسوق لغرض واحد قائم بمجموع الجملتين، وقد أبان السيد إن المراد بكلمة اليوم في قوله تعالى(اليوم يئس) ليس زمن ظهور الإسلام ولا يمكن أن تدل كلمة يوم هذه على زمن بعد فتح مكة مثلما لا يمكن أن تعني ما بعد نزول آيات براءة كذلك لا يمكن أن تعني يوم نزول الآية، كذلك ليست يوم عرفة من حجة الوداع كما ذكره كثير من المفسرين وبه ورد بعض الروايات كذلك لا يمكن أن يعني إكمال أمر الحج بحضور النبي(ﷺ) بنفسه فيه وتعليم الناس تعليما عمليا مشفوعا بالقول، واستبعد أن يكون المقصود منها أكمال الدين بنزول بقايا الحلال والحرام في هذا اليوم في سورة المائدة فلا حلال بعده ولا حرام وبإكمال الدين استولى اليأس على قلوب الكفار ولاحت آثاره على وجوههم.[٢٢] وذكر انه ليس المقصود بكلمة اليوم في شطر الآية الآخر (اليوم أكملت لكم دينكم) بيان هذه المحرمات تفصيلا ليأخذ بها المسلمون ويجتنبوها، ولا يخشوا الكفار في ذلك لأنهم قد يئسوا من دينهم بإعزاز الله المسلمين وإظهار دينهم وتغليبهم على الكفار فالمراد باليوم يوم عرفة من عام حجة الوداع وهو اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية المبشرة بظهور المسلمين على المشركين ظهورا تاما واقترح السيد الطباطبائي معنى مناسب فيقول في معنى اليوم في شطر الآية (اليوم يئس) إن الكفار قد كان لهم مطمع في دين المسلمين وكانوا يرجون زواله وما يكن يضيق صدورهم وينصدع قلوبهم إلا من جهة إن الدين كان يذهب بسؤددهم وشرفهم واسترسالهم في اقتراف ما تهواه طبائعهم لذا فقد كان الدين هو المبغوض عندهم دون أهل الدين إلا من جهة دينهم الحق فلم يكن في قصدهم إبادة المسلمين وإفناء جمعهم ،بل إطفاء نور الله وتحكيم أركان الشرك المتزلزلة، ورد المؤمنين كفارا، فكانوا في بادئ الأمر يفترون عزيمة النبي(ﷺ) ويستمحقون همته بالمال والجاه، وكان أخر ما يرجونه في زوال الدين وموت الدعوة المحققة، انه سيموت بموت هذا القائم بأمره ولا عقب له.فلو مات أو قتل لانقطع آثره ومات ذكره وذكره وذكر دينه، ولما حدث إن اياسهم قوة الإسلام وشوكته من جميع تلك الأسباب إلا واحدا وهو أنه (ﷺ) مقطوع العقب لا ولد له يخلفه في أمره ويقوم على ما قام عليه من الدعوة الدينية فسيموت دينه بموته. لذا فان تمام يأس الكفار إنما يتحقق عن الاعتبار الصحيح بان ينصب الله لهذا الدين من يقوم مقام النبي(ﷺ) في حفظه وتدبير أمره وإرشاد الأمة القائمة به فيتعقب ذلك يأس الذين كفروا من دين المسلمين لما شاهدوا خروج الدين عن مرحلة القيام بالحامل الشخصي إلى مرحلة القيام بالحامل النوعي ويكون ذلك إكمالا للدين بتحويله من صفة الحدوث إلى حقيقة البقاء.

ينتج من ذلك إن قوله (أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) إن الدين هو مجموعة المعارف والإحكام المشرعة وقد أضيف إلى عددها اليوم شيء، وان النتيجة أيا ما كانت أمر معنوي واحد كأنه كان ناقصا غير ذي اثر فتمم وترتب عليه الأثر المتوقع.

والنعمة هي ما يلائم طبع الشيء من غير امتناعه منه، وإنما تكون الأشياء نعما إذا وافقت الغرض الإلهي من خلقها لأجل الإنسان إذا سيكون محصل معنى الآية اليوم– وهو اليوم الذي يئس فيه المشركون– من دينكم وأكملت لكم مجموع المعارف الدينية التي أنزلتها إليكم بغرض الولاية وأتممت عليكم نعمتي وهي الولاية التي هي إدارة أمور الدين وتدبيرها تدبيرا إليها فإنها كانت إلى اليوم ولاية الله ورسوله وهي إنما تكفي ما دام الوحي ينزل، ولا تكفي لما بعد ذلك من زمان انقطاع الوحي، ولا رسول بين الناس يحمي دين الله ويذب عنه، بل من الواجب أن ينصب من يقوم بذلك وهو ولي الأمر بعد رسول الله (ﷺ) القيم على أمور الدين والأمة.[٢٣]

يقول مطهري لما كان الإسلام قد تم وبلغ حد الكمال فان مثل هذا الإسلام هو الدين الإلهي المرضي وان الدين الذي يريده الله هو هذا الإسلام التام الكامل.[٢٤]

وأخيراً بقي سؤال يدور في الذهن إلا وهو عدم وجود ترابط موضوعي بين ذلك الجزء من الآية الذي يتحدث عن حادثة الغدير وبين الجزء الآخر منها الذي يتحدث عن الحلال والحرام من اللحوم؟ فما هو سبب المخالفة.

وللإجابة عن ذلك نقول إن هناك احتمال بان يكون سبب وضع حادثة الغدير في آية تشمل على موضوع لا صلة لها به مطلقا إنما هو لصيانة الموضوع من أن تصل إليه يد التلاعب والتغيير والتحريف والاستبدال والحذف.

المطلب الثاني : الآية (٦٧) من سورة المائدة: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ))

نزلت هذه الآية الكريمة يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة حجة الوداع (١٠هـ) لما بلغ النبي الأعظم (ﷺ) غدير خم فاتاه جبرائيل بها على خمس ساعات مضت من النهار، فقال: يا محمد، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك (في علي) وان لم تفعل فما بلغت رسالته.

وكان أوائل القوم وهم مائة ألف أو يزيدون قريبا من الجحفة فأمره أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، وان يقيم عليا(عليه السلام) علما للناس ويبلغهم ما انزل فيه، واخبره بان الله عز وجل قد عصمه من الناس.[٢٥] فالله سبحانه أمر نبيه بالتبليغ ووعده العصمة والنصرة فقال: (يا أيها الرسول) وهذا نداء تشريف وتعظيم (بلغ) أي أوصل إليهم (ما انزل إليك

من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وأكثر المفسرون فيه الأقاويل فقيل إن الله بعث النبي(ﷺ) برسالة ضاق بها ذرعا وكان يهاب قريشا فأزال الله بهذه الآية تلك الهيبة عن الحسن، وقيل يريد به إزالة التوهم من أن النبي (ﷺ) كتم شيئاً من الوحي للتقية عن عائشة، وقيل غير ذلك؛ وروى العياش في تفسيره بإسناده عن أبن أبي عميرعن ابن اذينة عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبدا لله قالا أمر الله محمدا (ﷺ) أن ينصب عليا (عليه السلام) إماما للناس فيخبرهم بولايته فتخوف رسول الله (ﷺ) أن يقولوا حابى ابن عمه وان يطعنوا في ذلك فأوحى الله إليه هذه الآية فقام بولايته يوم غدير خم.

وقد اشتهرت الروايات عن أبي جعفر وأبي عبدا لله عليهما السلام إن الله أوحى إلى نبيه (ﷺ) إن يستخلف عليا (عليه السلام) فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فانزل الله تعالى هذه الآية تشجيعا له على القيام بما أمره الله بأدائه والمعنى أن تركت تبليغ ما انزل إليك وكتمته كنت كأنك لم تبلغ شيئا من رسالات ربك في استحقاق العقوبة.

وقال ابن عباس معناه إن كتمت آية مما انزل إليك فما بلغت رسالته ،أي لم تكن ممتثلا بجميع الأمر (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) أي يمنعك من أن ينالوك بسوء.[٢٦] ولهذه الآية نفسا خاصا يميزها عما قبلها وعما بعدها من الآيات إنها تتوجه بالخطاب إلى النبي(ﷺ) وحده وتبين له واجبه، فهي تبدأ بمخاطبة الرسول وتأمره بكل جلاء ووضوح (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ).

والراغب يذكر أن عبارة بلغ أكثر توكيدا من أبلغ.[٢٧] ولكي يكون التوكيد اشد وأقوى ذكر بعد ذلك (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) ثم يطمئن رب العزة رسوله ويهدي من روعه وخوفه فكان هناك امرأ يحذره من التبليغ (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)، إذن ما هو الأمر المهم الذي يأمر الله نبيه بتبليغه ويؤكد عليه.

هل هو مما يخص التوحيد والشرك أم يتعلق بالإحكام والقوانين الإسلامية مع إنها قد سبق لها إن نزلت أم هو الوقوف بوجه أهل الأديان السابقة والمنافقين؟

بالطبع لا بل هي مسالة استخلاف الرسول (ﷺ) وتعيين الإمام علي(عليه السلام) خليفة له محافظا على مستقبل الإسلام.

فالآية قد نزلت في علي(عليه السلام) وذكر ذلك عدد كبير من الصحابة منهم زيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري وابن عباس وجابر الأنصاري وأبو هريرة والبراء بن عازب وحذيفة وعامر بن ليلى واجمعوا على أنها نزلت في علي (عليه السلام) وبشان يوم الغدير.

وتتفق كلمة الطرفين – شيعة وسنة– على إن سورة المائدة هي أخر سورة نزلت على النبي (ﷺ) من تبليغ الأحكام التي نزلت عليه طوال ثلاث عشرة عاما أمضاها في مكة وعشرة

سنوات أمضاها في المدينة، وعندئذ يكون ما نزل إليه في عداد أخر تعاليم الإسلام وأوامره ثم إن هذا الأمر الذي نزل على النبي (ﷺ) في عداد آخر ما نزل إليه بحيث بلغ من أهميته إن النبي لو توانى عن تبليغه وامتنع عنه فكأنه لم يبلغ أي شيء مما نزل إليه طوال سنوات البعثة.

(بمعنى تعلق مضمون رسالة الإسلام كلها وتوقفها بتمامها على إبلاغ هذا الأمر الأخير، بحيث يعني التخلف عن تبليغه تخلفا عن إبلاغ الرسالة بتمامها إلى الناس.

ولما كانت هذه الرسالة هي دين الإسلام كله، وكان تنفيذ هذا الأمر وتبليغه يعني تبليغ الإسلام كلها، الأمر الذي يعني بالتالي، إن هذا الأمر الذي تتضمنه الآية لا يمثل إضافة كمية للدين، إنما يمثل بالتحديد إضافة نوعية لا يكتمل الدين بغيرها).[٢٨] ويذكر مطهري في كتابه الإمامة انه ليس بوسعكم أن تؤشر على موضوع يرتبط بأواخر عمر النبي توازي أهميته أهمية الرسالة نفسها بحيث لو تخلف عن تبليغه يكون وكأنه ما بلغ من الرسالة شيئا، أما نحن الشيعة فبوسعنا أن نقول إن هذا الموضوع هو مسالة الإمامة فلولا الإمامة يغدو كل شيء وكأنه لم يكن، أي لا يبقى نسيج الإسلام متماسكا بل يتهاوى ويتمزق.[٢٩]

بقي أن نضيف هنا، أن نص آية الأمر بتبليغ نعمة الولاية إلى الناس وآية اليوم أكملت لكم دينكم والأحاديث الواردة من طرق الفريقين فيهما وروايات الغدير المتواترة تؤكد بان أمر الولاية كان نازلا قبل يوم الغدير بأيام وكان النبي(ﷺ) يتقي الناس في إظهاره، ويخاف أن لا يتقبلوه بالقبول أو يسيئوا القصد إليه فيختل أمر الدعوة.

فكان لا يزال يؤخر تبليغه الناس من يوم إلى يوم حتى نزل قوله تعالى– يا أيها الرسول بلغ– فلم يمهل في ذلك وعلى ذلك فمن الجائز أن ينزل معه أمر الولاية كل ذلك يوم عرفة،فاخر النبي (ﷺ) بيان الولاية إلى غدير خم وقد كان تلى آيتها يوم عرفة، وأما اشتماله بعض الروايات على نزولها يوم الغدير، فليس من المستبعد أن يكون ذلك لتلاوته (ﷺ) الآية مقارنة لتبليغ أمر الولاية لكونها في شانها.[٣٠]

وهذا السؤال طرحه الشيخ الشيرازي بان الأدلة المذكورة في الآية (٣) من سورة المائدة والآية[٦٧] منها كذلك تخص واقعة واحدة فلما فصل القران بين هاتين الآيتين ولم تأتيا معا متعاقبتين في مكان واحد من النص القرآني؟

وأجاب عليه بأننا نعلم أن الآيات القرآنية وكذلك السور الكريمة لم تجمع كلها مرتبة بحسب نزولها الزمني، بل نشاهد كثيرا من السور التي نزلت في المدينة فيها آيات مكية، أي نزلت في مكة ، والعكس صحيح وبناء على هذه الحقيقة فلا عجب إذن من وجود الفاصل في القران بين الآيتين المذكورتين.[٣١]

وقال الرازي بعد إن عد الأوجه المحتملة للمعنى اعلم إن هذه الروايات وان كثرت إلا إن الأولى حمله على انه تعالى أمنه من مكر اليهود والنصارى وأمر بإظهار التبليغ من غير مبالاة

منه بهم نظرا لرويته للسياق الذي قبل الآية وبعدها وهو مجرد استنباط منه بملائمة سياق الآيات من غير استناد إلى أية رواية؛ على أن طبيعة الحال يستدعي أن يكون تهيبه (ﷺ) من اليهود والنصارى في بداية البعثة لا في أخريات حياته بعد أن انتشر الإسلام وترامك أطرافه وخضعت له الرقاب طوعا وكرها.

وما ذكره الطبري عن سبب النزول لا صحة له من الأساس فإذا كان النبي(ﷺ) إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة ظليلة يقيل تحتها وهم يحرسونه من كل جانب فكيف أتاه الأعرابي فاخترط بسيفه ثم قال من يمنعك مني قال الله فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منها وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه فانزل الله قوله **(وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)**.

أما القرطبي في تفسيره فيقول إن هذه الآية تأديب للنبي (ﷺ) وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئا من أمر شريعته.[٣٢]

أليس في هذا تجني على الذات المقدسة وعلى رسول الله (ﷺ) فالله لا يعلم من أمر نبيه (ﷺ) انه لا يكتم شيئا من وحيه .

المطلب الثالث: الآية الأولى من سورة المعارج ((سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)).

وهي من الآيات النازلة بعد نص الغدير فقد روى الحافظ أبو عبيد الهروي في تفسيره غريب القران قال: لما بلغ رسول الله (ﷺ) غدير خم ما بلغ، وشاع ذلك في البلاد أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري فقال: يا محمد؟

أمرتنا من الله أن نشهد أن لا اله إلا الله وانك رسول الله وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: (من كنت مولاه فعلي مولاه).

فهذا شيء منك أم من الله ، فقال رسول الله: والذي لا اله إلا هو إن هذا من الله فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله وانزل الله تعالى: **(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)**.[٣٣]

وذكر الطبرسي إن هذا السائل هو الذي قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فيكون المعنى دعا داع على نفسه بعذاب واقع مستعجلا له وهو واقع بهم لا محالة عن مجاهد، وقيل سأل المشركون فقالوا لمن هذا العذاب الذي تذكر يا محمد فجاء جوابه بأنه للكافرين ليس له دافع عن الحسن، وقيل معناه دعا داع بعذاب على الكافرين وذلك الداعي هو النبي (ﷺ) عن الجبائي.

وتكون الباء في بعذاب مزيدة على التوكيد كما في قوله ((وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ)) والتقدير سأل سائل عذاباً واقعاً، وقيل هي بمعنى عن وعليه تأويل قول الحسن لأنهم سألوا عن العذاب لمن هو، وقيل الباء للتعدي أي بإنزال عذاب وعليه تأويل قول مجاهد، وقيل إن معنى سأل سائل على قراءة من قرأ بالألف من سال يسيل سيلا والتقدير سال سيل سائل بعذاب واقع، وقيل سائل اسم واد في جهنم سمي به لأنه يسيل بالعذاب عن ابن زيد.(٣٤)

والمعروف بين المفسرين هو إن سورة المعارج من السور المكية وهي السورة السابعة والسبعون والتي نزلت في مكة وبعض آياتها مدنية.

ونقل كثير من المفسرين وأصحاب الحديث سبب نزول هذه الآية عندما نصب رسول الله(صلى الله عليه وآله) عليا(عليه السلام) في يوم الغدير وبالطبع هناك اختلاف بشان الرجل هل هو الحارث بن النعمان أو جابر بن نذر أو النعمان بن حارث الفهري وهذا لا يؤثر في أصل البحث من هنا تبدأ السورة عندما سئل هذا السائل عن تعيين الإمام علي (عليه السلام) خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في غدير خم وانتشار هذا الخبر في البلاد الإسلامية حيث لم يرتض هذا التنصيب واستهزئ به فأمطر الله عليه حجارة من السماء فقتلته؛ وقد أشكل بعض المعاندين للحق فذكروا أن حادثة الغدير في السنة العاشرة بعد رجوع النبي (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع وسورة المعارج من السور المكية ونزلت قبل الهجرة وللرد هذا الإشكال نقول إن كثيرا من السور سواء مكية أو مدنية بها آيات نزلت في المدينة وأخرى في مكة. فلا إشكال في ذلك أن تكون السورة في بعض آياتها مكية والبعض الأخر مدنية.

وكذلك أشكلوا في سبب نزول هذه الآية ولا بد أن تكون القصة معروفة كقصة أصحاب الفيل وهذا ليس بصحيح فالقصة مشهورة إلى درجة التواتر وان أغفلتها بعض مصادر المفسرين حقدا منهم على أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم أنها حادثة وقعت لرجل واحد وليست كقصة الفيل التي لها صفة العموم.

وعموماً فان القران الكريم يحدثنا عن مجموعة متفرقة من آياته عن حادثة الغدير شانها شان بقية القصص التي وردت في القران والتي تكون متفرقة في أكثر من سورة وهذا إنما يدل على تأكيد الباري عز وجل على الغاية المتوخاة من هذه الحادثة التي بلغ انتشارها أقاصي الأرض وعلم بها المبغض قبل المحب وما قولهم بخ بخ لك يا علي أصبحت مولى كل مسلم ومسلمة إلا حقدا منهم وحسدا.

الخاتمة:

توصل البحث إلى نتائج يمكن أن نجملها على النحو التالي:

١- إنَّ تمام يأس الكفار إنما كان يتحقق عن الاعتبار الصحيح بان ينصب رب العزة لهذا الأمر من يقوم مقام النبي(ﷺ) في حفظه وتدبير أمره وإرشاد الأمة الإسلامية نحو الصواب فيتعقب ذلك يأس الذين كفروا من دين المسلمين.

٢- لا يتم ولاية الله سبحانه إلا بولاية رسوله – أي تدبير بالدين لأمور العباد- ولا ولاية رسوله إلا بولاية وليه من بعده وهي تدبيرهم لأمور الأمة الدينية.

٣- تستند الشيعة إلى ما تعكسه لغة الآية ولهجتها من كثافة وشدة في الاستدلال على أهمية المسالة وهي تتساءل عن الموضع الذي يرتفع إلى مستوى يكون فيه مكملا لدين الله متمما لنعمته إلا وهي مسالة الولاية التي صرح بها رسول الله (ﷺ) في غدير خم على رؤوس الأشهاد.

٤- إنَّ كمال الدين من جهة أحكامه ومعارفه وان بلغ ما بلغ لا يقوى بنفسه على حفظ نفسه أي خروج الدين من مرحلة القيام بالحامل الشخصي (الرسول) إلى مرحلة القيام بالحامل النوعي(الإمام) فيكون ذلك إكمالا للدين بتحويله من صفة الحدوث إلى صفة البقاء.

٥- إنَّ عملية اصطفاء الإمام وتسخيره لمهمة الهداية تتم بأمر الله لقوله تعالى ((**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**)). فالإمام هو المقتدى وان مهمته هي هداية البشر بأمر الله تعالى في سبيل الحق.

٦- أما عن الصيغة التي عبر بها رسول الله عن تنفيذه لأمر الله في الولاية أي في استخلاف من توكل إليه مهمة الحفاظ على الدين من بعده، فقد تمثلت في واحد من أشهر الأحاديث المتواترة المعروفة لدى علماء المسلمين جميعا إلا وهو حديث الغدير: من كنت مولاه فهذا علي مولاه.

٧- إنَّ مسالة رحيل النبي دون استخلاف احد لمهمة حفظ الإسلام تشترط عصمة وعلمه بكامل مضمون القران تضييع لأمر الأمة وتعطيل الحدود والأحكام وإحياء أمر الجاهلية لذا فان النبي لم يمت حتى ورث علمه وصيا يقوم مقامه لئلا يكون للناس على الله حجة.

الهوامش:

١- ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٢/٢١٧ والكامل في التاريخ ٢/ ٢٢ وتاريخ أبو الفداء١/١١٦.

٢- ينظر: المستدرك٣/ ١٠٧.

٣- المراجعات ١٩٨.

٤- المستدرك ٣/١٠٩.

٥- المراجعات ٢٠٢.

٦- أسباب النزول ١٥٠.

٧- الغدير ١/٢٣٠.

٨- مجمع البيان في تفسير القران المجلد ٢/١٥٩.

٩- ينظر: التفسير الكبير١١/١٠٧-١٠٨وتفسير القرطبي ٦/٦٠-٦٣ والميزان ٥/١٦٨-١٧٣.

١٠- الكشاف، ١/٦٣٩.

١١- الأمثل، ٣/٥٩٠- ٥٩٣والصافي ٢/١٠.

١٢- الميزان، ٥/١٦٨.

١٣- العين، ١/ ٥٨٦.

١٤- المصدر السابق ٨/١١١.

١٥- تاج العروس، ٣١/ ٣٣٢.

١٦- المصدر السابق ٣١/٣٣١.

١٧- تحليل سورة المائدة ٢٥.

١٨- الخصال، ٢٥٧.

١٩- تفسير المنار، مجلد ٦/١٥٥.

٢٠- ينظر: الأمثل ٣/٣٥٥.

٢١- المصدر السابق ٣/٣٥٦-٣٥٧.

٢٢- الميزان، مجلد٥ /١٧١-١٨٥.

٢٣- المصدر السابق .

٢٤- الإمامة، ١٣٢-١٣٣.

٢٥- الغدير، ١/٢١٤.

٢٦- مجمع البيان، المجلد ٢/٢٢٣.

٢٧- المفردات ٦٥.

٢٨- الله والإمام ١٠٨/١.

٢٩- الإمامة ٥٩.

٣٠- ينظر: الميزان المجلد٥ /٢٠٠.

٣١- ينظر: الأمثل ٣٥٨/٣.

٣٢- ينظر: تفسير القرطبي ٢٤٢/٦وتفسير الرازي ٦٣٥/٣.

٣٣- ينظر: الغدير ٢٣٩/١.

٣٤- ينظر: مجمع البيان المجلد ٣٥٢/٥.

المصادر والمراجع :

١- القران الكريم .

٢- الإمامة: مطهري ،ترجمة جواد علي كسار،منشورات دار الضياء ، طهران.

٣- أسباب النزول: الواحدي،احمد بن محمد ،دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت، ط١/١٩٩٢م.

٥- الله والإمام: عادل عبد الله مجيلس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١/ ٢٠٠٦م.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى(ت ١٢٠٥هـ)، مطبعة دار صادر، بيروت(د.ت).

٧- تاريخ أبي الفداء (المختصر في إخبار البشر) : أبو الفداء،عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٣٢هـ)، علق عليه محمود ديوب، دار الكتب العلمية،بيروت١٩٩٧م.

٨- تاريخ الرسل والملوك: ابن عبد البر القرطبي (ت٤٦٣هـ)، دار الأميرة بيروت، ط/٢٠٠٥،١م.

٩- تحليل سورة المائدة: سيروان عبد الزهرة ، محاضرات ألقيت على طلبة المرحلة الرابعة/اللغة العربية/لآداب/الكوفة.

١٠- تفسير القرطبي (الجامع لإحكام القران): القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري(ت٦٧١هـ)، ط١/دار الفكر، بيروت١٩٨٧م.

١١- التفسير الكبير(مفاتيح الغيب): الرازي، أبو عبد الله محمد بن بكر بن الحسن(ت ٦٠٦هـ) دار الكتب العلمية، طهران، ط/٢ د.ت.

١٢- تفسير المنار: محمد رضا، مؤسسة الاعلمي للكتاب،بيروت١٩٧٧م.

١٣- الخصال: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن يابويه (ت٣٨١هـ)، دار العلم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٤- الصافي: الفيض الكاشاني، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د،ت).

١٥- الغدير في الكتاب والسنة والأدب: الاميني، عبد الحسين(ت١٣٩٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت١٩٦٧م.
١٦- الكامل في التاريخ :ابن الأثير،عز الدين أبي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ)، طبعة دار الفكر، بيروت١٩٧٨م.
١٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري،محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ)، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع.بيروت.
١٨- العين: الفراهيدي،لأبي عبد الرحمن خليل بن احمد (ت١٧٥هـ)،تحـ:د مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي،منشورات وزراة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية،دار الرشيد،بغداد١٩٨٠-١٩٨٥م.
١٩- مجمع البيان في تفسير القران: الطبرسي، لأبي الفضل بن الحسن(ت٥٤٨هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٢٠- المراجعات :الإمام شرف الدين، عبد الحسين الموسوي، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الاشرف.
٢١- المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، إشراف: د.يوسف المرعشلي،دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٢٢- المفردات في غريب القران: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد (ت٥٠٢هـ)،تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ١٣٢٤هـ.
٢٣- الميزان في تفسير القران: السيد الطباطبائي، محمد حسين، دار الكتب الإسلامية، د.ط١٣٦١-١٣٦٢هـ.